

www.ikhwanweb.com

Ikhwanweb Tarjamat

IkhwanScope.com

الموضوع: ماذا يمكن أن تتعلمه حماس من الصهاينة الأوائل حول بناء الدولة

الكاتب: جوناثان

فريدلاند

المصدر: الجارديان

التاريخ: 2006/2/1

بالنظر إلى النتيجة المذهلة للانتخابات الفلسطينية فإن جميع الأطراف ينظرون الآن إلى الماضي ليجدوا طريقًا إلى الأمام.

في هذا الشهر الجديد، يقف الجميع في ظلام دامس. بعد تحقيق حماس لنصر ضخم صدم الجميع حتى حماس. فكل أطراف نزاع الشرق الأوسط يقفون غير متأكدين كيف يتحاورون، ولا يعلم أحد تمامًا ماذا يفعل.

والدليل على ذلك جاء في تصريح صدر عن الدول الأربع يوم الثلاثاء وهي تترأس عملية السلام في الشرق الأوسط، وكل طرف يريد وقفة لانتقاط الأنفاس، ليرى ماذا سيحدث في الانتخابات الإسرائيلية في 28 مارس ليرى ماذا ستصنع حماس بأغليبتها في البرلمان، وحماس ليست في عجلة من أمرها لتناقش مسألة الحكم لسببين: لقد توقعوا بل ربما أرادوا أن يشكّلوا كتلة معارضة كبيرة بدلاً من توكيلهم بالإدارة الفعلية للسلطة الفلسطينية، وليتحملوا مسؤولية الحياة اليومية للفلسطينيين، فأبي تصرف للسلطة الفعلية لا شكران عليه، إن لم يكن مستحيلاً، في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

تتكلم حماس عن فترة تحول، ويبحثون عن تعاون مع فتح – الحزب الذي هزمه في الانتخابات – هذا الموقف أحدث شللاً على جميع الجوانب، فالأمر أكبر من مجرد الصدمة من الجديد. تخيل مباراة شطرنج فيها كل الطرق مسدودة واللاعبون يحدقون في قطعهم ولا يجدون غير إخراج الشاة.

خذ الرئيس بوش، إذا اعترف بحماس، فهو يناقض ما زعمه من حرب على الإرهاب، حيث أن كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي طالما وسموا حماس بأنها منظمة إرهابية.

ولكن إذا لم يعترف فهو يناقض بوضوح حملته العالمية من أجل الديمقراطية حيث أن حماس قد حققت تلك الأغلبية الساحقة في الانتخابات عن طريق نفس نوع الانتخابات التي يطالب بها بوش العالم العربي، وهو بمنطقه الخاص، إما يشرع الإرهاب أو أنه يقدم فقط نوعاً من ديمقراطية هنري فورد: يمكنك الحصول على سيارة بأي لون تحب طالما أنها سوداء.

أوروبا ليست في موضع أفضل، فهي لا تستطيع الاستمرار في مساعداتها المالية، لأن ذلك قد يكون بمثابة إعطاء نقود لمنظمة إرهابية، ولكنها إذا أغلقت صنبور الاتحاد الأوروبي فسوف تفسد الحياة الفلسطينية أكثر، وربما الدول العربية الموالية للغرب مثل مصر والأردن – ربما تملأن الفراغ المالي – ولكن ماذا لو هزعت كل من سوريا وإيران إلى هناك أو لا؟

في هذا الجو من الفوضى المتجمدة، فإن الشعب ينظر إلى الخبرة الماضية ليرى أي درس يتعلم منها. في جولة من المحادثات هذا الأسبوع مع أولئك المهتمين بما في ذلك رمز كبير في حماس قال: كل شخص وكل وضع له مثيله التاريخي الخاص.

أولاً: كانت المقارنة المباشرة لحماس مع منظمة التحرير الفلسطينية ذات الثلاث عقود الماضية، ولقد كانتا بعيدتين دبلوماسياً كمنظمات إرهابية رفضتا الاعتراف بإسرائيل، إلا أنه في الواقع كانت

منظمة التحرير الفلسطينية في حالة هدوء حيث قبلت عام 1988 بإسرائيل بجانب دولة فلسطينية، وكذلك قبلت بالمحادثات النهائية واتفاقات أوسلو بعد ذلك بخمس سنوات. وأخبرني محاور فلسطيني محنك بالأمس: لقد استغرق ذلك منا حوالي 40 سنة للوصول إلى ما وصلنا إليه.

يمكنك أن ترى ذلك التماثل على أنه مبهج أو مظلّم فالمتفائلون سوف يتأثرون بتصريحات حماس الواضحة بأنهم مستعدون لقبول دولة في حدود ما قبل 1967، وإن لم يكن كترتيب نهائي فليكن كحل على المدى البعيد. فإذا كانوا راغبين في التحاور على هذه الأسس فسوف يكون هناك تميز كبير. بخلاف ادعاء فتح فسوف يطلبون مساندة الشارع الفلسطيني لأي اتفاقية سلام قد يوقعونها.

أما المتشائم فسوف يتعجب من أنه بعد ثلاثين سنة من الدموع وإهدار الدماء سنعود إلى حيث كنا، وهناك تصريحات رمزية من الجانب الفلسطيني، وقنوات جس نبض من الإسرائيليين، ودفع من واشنطن وسنوات من الدبلوماسية، ثم تأتي إلى النقطة التي وصلنا إليها عام 1993.

على الإسرائيليين بصفة خاصة أن تغتتم الفرصة من الجولة الأولى، وتكف عن تضييع الوقت، فبعد تقاهمات 1993، أخذت في بناء المستوطنات واحتفظت بنقاط تفتيش، وفرضت حظر التجول، وصادرت الأراضي.

في العام الماضي، جعلت إسرائيل من الرئيس الفلسطيني وبقية قيادات فتح ينظرون وكأنهم سُدج. فالرسالة التي أرسلتها إسرائيل إلى جمهور الناخبين الفلسطينيين كانت شديدة: صنع السلام والتلطيف لا يجديان، وقد سمعها الفلسطينيون عالية وواضحة، وصوتوا لحماس.

قد يقول المتشائمون أن الأمر قد يستغرق عقدًا آخر أو أكثر لكي تصل حماس إلى ما وصلت إليه فتح، فإذا فعلوا ذلك فسوف تفقد إسرائيل الفرصة مرة أخرى.

المثيل الثاني المفضل الآن هو إيرلندا الشمالية، وتكون حماس بمثابة الشين فين والجيش الجمهوري الإيرلندي، وهذه المقارنة قد تكون مفيدة، ويجب أن نضع هذه التجربة في الذاكرة، لقد تعلم الأجانب كيف يتحدثون مع من اعتبروهم إرهابيين.

المشكلة في مقارنة إيرلندا الشمالية هو أن الجمهوريين هذه الأيام قد نبذوا العنف وهم في حالة وقف إطلاق نار لفترة تقترب من عقد من الزمان، وما زال هناك أكبر حزب اتحادي لا يرغب في التحدث إليهم.

بهذا المعيار فإن اتفاقية إسرائيلية مع حماس تبتعد لسنوات، ولقد علمت بالأمس أن حماس سوف لا تنزع سلاحها مطلقًا، وأن شرعية مقاومتهم متعمقة في المجتمع الفلسطيني.

إن المستقبل الأكثر رجحانًا هو ما يدعيه محلل فلسطيني وهو محاور أيضًا وهو أحمد خالد يعرض بديل (أحادية الجانب) فسوف يقوم كل جانب بتحركاته الخاصة مستقلاً عن الآخر، وهذا سوف يناسب إسرائيل، التي طالما أصرّت على أنه لا يوجد شريك على الجانب الفلسطيني، فإذا كانوا قد استطاعوا قول ذلك عن الخاضع محمود عباس، فمما لا شك فيه سوف لا يتراخون مع حماس. وبافتراض نجاح إيهود أولمرت في مارس وهو قوي بما فيه الكفاية، فسوف يستمر في أسلوب إيريل شارون ويقوم بمزيد من الانسحابات أحادية الجانب من الضفة الغربية، فسوف يترك ذلك حماس لتجري تحركات فردية من جانبها. وبذلك ينفذون وعودهم الانتخابية الرئيسية، وهي تنظيف الفساد، والتوسع في الخدمات الصحية والتعليمية، وتحسين الحياة اليومية للفلسطينيين، أو قد ينشغلون في بناء الدولة، وهذا ما يجرنا إلى المثيل أو البديل التاريخي المتباين أمام الجميع، فإن أفضل رهان لحماس ربما يكون في

التعلم لا من فتح ولا من الجيش الجمهوري الإيرلندي، ولكن من الحركة الصهيونية المبكرة. وهو العيش في ظل حكم احتلال عسكري من العشرينات إلى الأربعينات، وركزت طاقاتها في بناء مؤسسات الدولة: مدارس، دواوين، وحتى خدمة صحية وطنية ابتدائية، وعندما جاء الاستقلال في عام 1948 كانوا مستعدين، ولم يعتمدوا على الانتداب البريطاني، والدرس هنا أن الكل نفس الشيء، وقد تصنع حماس ثورة بالتمسك بذلك الدرس.